مقدمة

حظيت الجملة في اللغة العربية ، كما حظي الكلام باهتمام الباحثين وشيوخ اللغة عبر تاريخها الطويل .

فقد عرف عالمنا الجليل ابن هشام الكلام بأنه (القول المفيد بالقصد)

ثم عرفه في موضع آخر بقوله :(اعلم أن اللفظ المفيد يسمى كلاما ، وجملة . ونعني بالمفيد ما يحسن السكوت عليه ، وأن الجملة أعم من الكلام ، فكل كلام جملة، ولا ينعكس).

ويتفق علماء اللغة على أن الكلام هو مجموعة المفردات التي تكون مع بعضها البعض بناء لغويا مفيدا يحسن السكوت عليه . وهذا ما يعرف بالجملة التامة المعنى ، سواء أكانت جملة اسمية ، أم فعلية .

وكثيرًا ما ذكرت كلمة (الأسلوب) في كتابات النقاد و دارسي الأدب في تنظيرهم و تطبيقاتهم على النصوص ، وكثيرًا ما ذكرها البلاغيون المحدثون في أطروحاتهم البلاغية الجديدة و رؤاهم المعاصرة .

لذلك يأتي هذا البحث في إطار الحرص على إفادة الدارسين بتقديم مكونات الجملة العربية وما يلزمها وما يعتريها من تغييرات ، وكذلك الأسلوب وما يتضمنه من وسائل تسمو به وترقى ببلاغته ورونقه .

لـذا عرضـت لأمـور كـثيرة تنتـاب الجملـة والأسـلوب كالانزيـاح اللغـوي والمفارقة اللغوية ، ومابين الكلمات من مشترك لفظي وما تحمل من دلالات ، كما عرضت لبعض الصيغ الصرفية التي لا يستغني عنها الكاتب أو المبدع عند الكتابة .

كتبت هذا واضعا في الاعتبار أن هذه الأمور والمصطلحات التي عرضت لها قد تناولها علماء اللغة وأساتذتنا الأفاضل الذين تعلمنا على أيديهم ، لكنها جاءت في ثنايا التأليف والمصادر ، فقمت بجمعها مضيفا إليها ما طرأ على الجمل والأساليب نتيجة لتطور اللغة ونموها .

وأضيف أني ما قمت بهذا إلا حبا في صاحبة الجلالة لغتنا العربية وحرصا على إفادة الدارسين وإضاءة الطريق أمامهم داعيا الله أن يزيدنا من نور العلم والمعرفة .

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

عن

بناء الجملة

الجملة في العربية بناء حافل فيه من الغنى والثراء والتجدد ما جعله جديرا بالبحث والتأمل ، والجملة كائن حي له كيانه وسماته وعلائقه ، يتغير ، ويقوى ويضعف ، ويتطور وينتقل من حال إلى حال بمرور العصور ، وقد حظيت دراسة الجملة بقدر كبير من عناية النحاة القدامى والمحدثين، وما زالت مثار اهتمام الخبراء وعلماء اللغة .

تنقسم الجملة في اللغة العربية إلى قسمين : اسمية ، وفعلية ، وتتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، ومتعلقات أخرى كالظرف والجار والمجرور والمضاف والصفة والحال ..إلخ. أما الجملة الفعلية فتتكون من فعل وفاعل، ومتعلقات أخرى كالمفعول به والمفعول المطلق والتمييز والحال ..إلخ، بالإضافة إلى ما يلحق بالجملة من توكيد أو تقديم وتأخير أو ذكر وحذف أو استثناء أو نفي...

تنقسم الجملة الاسمية إلى :

- جملة اسمية مثبتة
- جملة اسمية منفية

وتتفرع الجملة الفعلية إلى :

- جملة فعلية مؤكدة .
- جملة فعلية منفية .

وهناك الجملة الطلبيَّة مثل :

- جملة النداء
- جملة الاستفهام.

والجملة الشرطية :

- التي أداتها جازمة

- والتي أداتها غير جازمة

إضافة إلى ما يكون في الكلام من انزياح لغوي كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتكرار، والتفصيل، والإجمال.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت بناء الجملة :

- بناء الجملة العربية للدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، للدكتور فاضل السامرائي.
- الجملة العربية - مكوناتها - أنواعها - تحليلها، للدكتور إبراهيم عبادة.

وغيرها من الدراسات وقديما تناول عبد القاهر بناء الجملة من خلال نظرية النظم التي تقوم في أساسها على (تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عله من معاني النحو والموضوعة في أماكنها على الوضع الذي يقتضيه العقل).

يقول :

"واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله. "فلست بواجدٍ شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له. فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه "

والنظم عنده يعني (تعليق الكلم بعضها ببعض،وجعل بعضها بسبب من بعض ، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة،لا يعدو ثلاثة أقسام:تعلق اسم باسم،تعلق اسم بفعل،تعلق حرف بهما) وهو بذلك أول ربط بين النظم وعلم النحو.

يضاف إلى ذلك نظم الكلم: وهو يعني نظم آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعني في النفس،وليس ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق.

ومعاني النحو – في رأي الجرجاني – ثابتة لا تحتاج إلى جهد ومعاناة ، أما "النظم" فيكون في حسن التخير والنظر في وجوه كل باب ، فينظر في صور الخبر والأساليب من شرط وتوكيد وتخصيص ، فيجيء بذلك حيث ينبغي له ، ويحتاج ذلك قسطا كبيرا من التذوق والحس الأدبي والسليقة السليمة،وتلك مهمة فوق مهمة البحث في الصواب والخطأ ، وهنا ارتبطت البلاغة بالنحو ارتباطا وثيقا حيث تبدأ مهمتها من حيث تنتهي مهمة النحو،لأنها ستتناول الصورة الصحيحة التي تدور حول غرض واحد لترى أيهما أرفع في درجات البلاغة ولماذا".

ولذلك نراه يعالج قضايا التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والإظهار والإضمار، والاستفهام ، والنفي، والحذف ، والتعريف والتنكير،وغيرها من مباحث علم المعاني ، وقد طبق الجرجاني بالفعل هذه النظرية تطبيقا عمليا منهجيا على آيات من كتاب الله ، وعلى نصوص من أشعار العرب ، فجمع بذلك بين النظرية والتطبيق ، وأسس لفرع مهم من الدراسات البلاغية النقدية أفاد أجيال الدارسين من بعده ففي باب التقديم والتأخير يبين أنه على وجهين:

- تقديم على نية التأخير :كخبر المبتدأ في قولك:"منطلق زيد"، فمعلوم أن منطلق لم تخرج بالتقديم عما كانت عليه من كونها خبرا المبتدأ ومرفوعة بذلك.
- تقديم لا على نية التأخير.

ويمثل لذلك بمثال في قوله : وهو أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم،وتجعله بابا غير بابه،وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ والآخر خبرا له،فتقدم تارة هذا على ذاك،وأخرى ذاك على هذا لعلة بيانية ولفضل بلاغي ،ومن أمثلة ذلك "الاستفهام بالهمزة" فإن موضع الكلام إذا قلت:"أفعلت؟" فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه،وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجود ،أما إذا قلت:"أأنت فعلت؟"فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل، وهنا يتجلى دور النحو والنظم في تحديد الدلالة ،وأن بينهما رباط قوي لا ينفصم، وهذا ما يميز اللغة العربية.

وفي باب الحذف يقول :

"وهو باب دقيق المسالك،عجيب الأ ،فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر،وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ومن لطيف الحذف قول ابن النطاح:

العين تبدي الحب والبغضا ... وتظهر الإبرام والنقضا

درّة ما أنصفتني في الهوى ... ولا رحمت الجسد المنضى

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أطعم البارد أو ترضى

يقول: هذه الأبيات في جارية كان يحبها ،والمقصود قول"غضبى"، والتقدير "هي غضبى"أو"غضبى هي" لا محالة ،إلا أنك ترى النفس كيف تتفادى إظهار هذا

المحذوف،وكيف تأنس إلى إضماره،وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به.

وقد ربط الجرجاني بين فروع اللغة فربط النحو بعلم المعاني وبالبلاغة فربط الاستعارة بعلم المعاني ربطا بديعا ، وأوضح أن من أنواع الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا بعد العلم بالنظم،ويمثل لذلك بقول الله تعالى "واشتعل الرأس شيبا"لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ،ولم ينسبوا الشرف إلا إليها ،وليس الأمر ذلك،إنما الجمال أن تعلم أن "اشتعل"للشيب في المعنى ،وإن كان للرأس في اللفظ،فهل إذا أخذت اللفظ وسندته إلى الشيب صريحا فتقول:"اشتعل شيب الرأس" هل ترى الروعة التي كنت تراها؟

فما السبب في أن "اشتعل "إذا استعير"للشيب" كان له الفضل؟

السبب أنه يفيد لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل الشمول، وأنه قد شاع فيه،وعمّ جملته حتى لم يبق من السواد إلا ما لا يعتد به.

ونظير ذلك في التنزيل قول الله عز وجل:"وفجرنا الأرض عيونا"، فإن التفجير للعيون في المعنى لكنه أوقع على الأرض في اللفظ، وذلك أفاد أن الأرض قد صارت عيونا كلها، وأن الماء كان يفور من كل مكان، ولو قيل "فجرنا عيون الأرض"لم يفد ذلك ولم يدل عليه ، ولكان المفهوم أن الماء قد فار من عيون متفرقة في الأرض ".

و الألفاظ المفردة عنده واحدة لا مجال للمفاضلة بينها؛ فهي مستوية في الدلالة على المعاني التي وُضعت لها ومجال المفاضلة بينها يكون من حيث موقعها في الجملة، فقد تقع الكلمة موقعاً طيبا في النفس ولا تكون كذلك في موضع آخر يقول : "وهل يقع في وهم وإنْ جَهَدَ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن

يُنظَر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن ومما يَكُد اللسان أبعد؟ وهل تجد أحداً يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: "لفظة متمكنة ومقبولة"وفي خلافه : قلقة، ونابية ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تُلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقاً للتالية في مؤدّاها؟ وهل تشكّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة هود:٤٤] ، فتجلّى لك منها الإعجاز، وبَهرك الذي ترى وتسمع - أنك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلِم بعضها ببعض، وأنْ لم يعرِض لها الحسنُ والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة وهكذا، إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأنّ الفضل ناتج ما بينها وحاصل من مجموعها؟ إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أنْ نوديت الأرض، ثم أُمرت، ثم في أنْ كان النداء "بيا"دون "أيّ"، نحو "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة "الماء"إلى "الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي الماء"، ثم أنْ أُتبع نداء الأرض

وأمْرها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمْرَها كذلك بما يخصّها، ثم أنْ قيل: "وغيض الماء"، فجاء الفعل على صيغة "فُعل"الدالة على أنه لم يَغِضْ إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: "وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ "، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: "استوت على الجودي"، ثم إضمار "السفينة"قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل"في الخاتمة "بقيل "في الفاتحة ؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتُحصرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها - تعلُّقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالي في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتّساق العجيب؟ فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردّة، ولا من حيث هي كلِم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تَعَلُّق له بصريح اللفظ .

وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتُوحشك في موضع آخر، كلفظ "الأخدع"في بيت الحماسة:

تلفّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتُني

وجِعتُ من الإصغاء ليتاً وأَخْدَعا

وبيت البحتري :

وإني وإن بلّغْتَني شرف الغنى

وأعتقتَ من رِقّ المطامع أخدعي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يا دهـر قـوِّمْ مـن أخـدعيك، فقـد

أضججت هـذا الأنـام مـن خُرُقـكْ

فتجد لها من الثّقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الرَّوْح والخفة ومن الإيناس والبهجة"

وخلاصة ما قاله عبد القاهر في النظم :

- أنه لا ميزة للألفاظ المفردة من حيث هي أصوات مسموعة، إذ ليس للفظة قيمة بمعزل عن السياق، ولكنها تحسن بمراعاتها للمعنى المراد وبمكانها مع أخواتها في الجملة الواحدة.
- توظيف المعاني النحوية في السياق لخدمة المعاني العامة للنص الأدبي بحيث لا يمكن الوقوف على معاني النص إلا عن طريق المعاني النحوية .

وفي إطار النص ولكونه يتكون من جمل وأساليب سنعرض للمناهج النقدية التي كانت الجملة محور دراستها ، والمادة الخام التي تستخدمها ومن هذه المناهج :

البنيوية :

كان مصطلح البنيويّة الأكثر شيوعاً وخطورة في مجالات المعرفة الإنسانيّة عامّة " ويعد تينيانوف أوّل من استخدم لفظة "بنية" في السنوات المبكّرة من العشرينيّات، وتبعه رومان ياكوبسون الذي استخدم كلمة البنيويّة لأوّل مرّة عام ١٩٢٩ ".

ظهرت البنيوية نتيجة للتطور الحديث وظهور الدراسة اللغويّة كعلم مستقلّ بذاته وشهدت السنوات الأولى من القرن العشرين بداية ظهور أساس المقاربة النقدية للنصوص الأدبيّة "

ولسنا في مجال الحديث عن نشأة البنيوية وروادها ، إنما الذي يعنينا المنهج الذي تتبعه ، والسبيل الذي تسلكه في تناول النص ومكوناته .

تقوم البنيوية على " تقسيم النصّ اللغويّ إلى أصغر مكوّناته البنائيّة وهي الفونيمات والمورفيمات، أو إلى أصغر مكوّناته الصوتيّة والشكليّة ، وهي "المايتمات "*Mythemes*". وبتوضيح أكثر للمنهج البنيوي يشير الدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه (المرايا المحدبة) إلى أن :

" اللغويّات البنيويّة عند تعاملها مع النصّ اللغويّ تقوم بالبدء من نقطة صغرى: فتبدأ بتحديد العناصر التي ربّما لا يكون لها معنى، مثل: الفونيمات، وهي أصغر عناصر تكوين اللغة. ثمّ ينتقل التحليل البنيوي لرصد تجميع هذه العناصر في وحدات ذات معنى، وهي الكلمات، ثمّ كيف تُجمع هذه الوحدات الدلاليّة الصغرى في نظام أوسع أو نسق أكبر، وهو اللغة. لكنّ الكلمة بمفردها – معزولة خارج نسق – لا يمكن أن تدلّ أو تشير إلى وحدة أخرى معزولة، ولهذا نتحوّل إلى النسق الأصغر وهو الجملة. داخل النسق الأصغر تصبح الوحدة الصغرى[أي الكلمة المفردة] جزءاً من نسق دالّ وتكتسب دلالتها الأوسع من علاقتها مع الوحدات الأخرى داخل النسق. المرحلة التالية أكثر تركيبيّة وتعقيداً، وهي ربط هذه الجمل / الأنساق الصغرى وتجميعها داخل نسق أكبر، هو النصّ. في النسقين السابقين تتحدّد دلالة

الوحدة (الكلمة في الجملة، والجملة في النصّ) عن طريق علاقاتها مع الوحدات الأخرى.

وفي هذا الصدد نشير إلى أن صدى نظرية النظم التي أبدع خطوطها الجرجاني شيخ اللغة يبدو واضحا في ثنايا هذا المنهج البنيوي.

الأسلوبية :

الأسلوبية منهجٌ وصفيّ للنصوص يستند على البلاغة و لا يقف عند حدودها بل يتخطّاها ليتخذ طابعاً علمياً له أسسه ، قوانينه.

و قد تأسست قواعدُ الأسلوبية على يد أحد تلاميذ دي سوسير هو (شارل بالي) الذي يرى أنّ اللغة (تتكون من نظامٍ لأدوات التعبير التي تتكفّل بإبراز الجانب الفكري من الإنسان، وليست مهمة اللغة مقصورةً على الناحية الفكرية وحدها، بل إنّها تعمل أيضاً على نقل الإحساس و العاطفة).

و غاية الأسلوبية هو الوقوف على الخصائص الفنية التي تميز النص، وما يترتب على هذه الخصائص من دلالات.

وتضع الأسلوبية في اعتبارها إخراج المفردة عن معناها المعجمي إلى معنى جديدٍ ذي دلالة ليشكّل جزءاً من الأسلوب الذي يتّسم به كاتبٌ ما.

ولتحقيق ذلك يلجأ الكاتب الى الانزياحاتِ والاستعاراتِ والتكرار والتقديم والتأخير والرمز وغيرها، وهذا ما يجعل اللغةَ تنحو نحوَ الشعرية، يقول أدونيس: (إنَّ الفرقَ بين لغة الشعر والنثر ليس في الوزن بل في طريقةِ استخدام اللغة، النثرُ يستخدم النظامَ العاديَّ للغة أي يستخدم الكلمةَ لما وُضعت له أصلاً، أمّا الشعرُ فيغتصب أو يفجّر هذا النظام، أي يحيد بالكلمات عما وُضعت له أصلاً).

أما آليات التحليل الأسلوبي:

نتعتمد الأسلوبية في مقاربة النصّ الأدبيّ على:

- الدراسة المعجمية ويقصد بها المفردات ودورها في الأسلوب أو التركيب .
- الجملة وما يداخلها من انزياحات تتمثل في : التقديم والتأخير والذكر والحذف والإجمال والتفصيل والتكرار.
- دراسة نحو النص وما يتضمن من ظواهر نحوية ، ومشتقات ونسبها ودلالة ورودها .
- دراسة بلاغة النص وما يتضمن من ظواهر بلاغية كالاستعارة والتشبيه والكناية ومحسنات بديعية كالسجع والجناس والطباق والتورية والازدواج .
- الدراسة الدلالية للأساليب وأثرها في النص .

والتحليل الأسلوبي بهذه الآلية يكمن في دراسة الانسجام الحاصل بين المفردات والجمل والأثر الجمالي والفني الذي يتركه في ذهن المتلقّي.

ويعاب على الأسلوبية والبنيوية والتفكيكية أنها :

- تهمل الوحدة العضوية ، ودوافع الإبداع ، وأثر المبدع في النص .
- لا تهتم بالمعنى أو المحتوى .
- تُحيل النص إلى مجرد مفردات وتراكيب ، والأدب ليس كذلك .
- تعنى بالتحليل وتقف عاجزة أمام التفريق بين النصوص الجيدة والرديئة.
- تلغي التطوير وتعنى بالنظام .
- تؤدي إلى هيكلة النص وتحيله إلى قالب ، فيتوارى الإبداع .